شعور المسلمين بأهميّة العامل الغذائيّ

ونظراً لشعور المسلمين بأهميّة العامل الغذائي، عملوا جاهدين على توفيره خلال الفترة المكيّة، فها هو الزّبير بن العوّام، ابن عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وطلحة بن عبيد الله، ابن عمّ أبي بكر الصّدّيق رضي اللّه عنه مع جماعة من المسلمين يخرجون من مكّة للإتّجار، وإحضار الطعام والمواد الحيويّة الأخرى من بلاد الشام إلى المسلمين في مكّة، في وقت من أصعب الأوقات، وأحرجها في تاريخ الدعوة الإسلامية، وقت الهجرة، هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة. إنّ هذا الحدث التاريخيّ العظيم لم يمنع الزبير، وطلحة، وبعض المسلمين الّذين لم يُسَمَّوْا لنا من السفر إلى بلاد الشام للتجارة، كذلك الرسول نفسه لم يمنعهم من السفر، بل ربّما يكون قد شجّعهم على ذلك.

وهاجر الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ومعه الصّدّيق الأكبر، أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه إلى المدينة، تحت ظروف صعبة، وخطرة جدّاً، وفي الطريق إلى المدينة التقى بهما الزبير في ركب من المسلمين تجّاراً، قافلين من الشام في الطريق إلى مكة، وكساهما البياض، كما تروي كتب السّيرة.[٤٦٤]

وعند ابن سعد: "فاستقبلتهما هديّة من الشام، من طلحة بن عبيد الله إلى أبي بكر، فيها ثياب من بياض من ثياب الشام، فلبساها، فدخلا المدينة في ثياب بياض."[٤٦٥]

وفي رواية أخرى عند ابن عساكر: "ولمّا ارتحل سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخَرّار في هجرته إلى المدينة، فكان الغدُ، لقيه طلحة بن عبيد الله جائياً

٤٦٤ــ ابن حبّان، السيرة النبوية، ص ١٣٣؛ ابن كثير، البداية، م ٢، ج ٣، ص ١٨٤؛ ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ١٣٢؛ ابن الأثير، جامع الأصول، م ١١، ص ٥٨٨، نقلاً عن البخاري؛ سعيد حوّى، الأساس في السنّة، ج ١، ص ٣٤٣ و ٣٥٠.

٤٦٥ــ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٧٣.

من الشام في عير، فكسا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، وأبا بكر، من ثياب الشام، وخَبَّر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، أنّ مَن بالمدينة من المسلمين قد استبطأوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فعَجَّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم السيرَ، ومضى طلحة إلى مكّة حتى فرغ من حاجته، ثمّ خرج بعد ذلك بآل أبي بكر، فهو الّذي قدم بهم المدينة."[٤٦٦]

نفس الشيء حدث بعد الهجرة، أثناء معركة بدر، هذه المعركة الحاسمة في تاريخ الأمّة الإسلاميّة، والإنسانية جمعاء، حيث ذهب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله إلى الشام للإتّجار، ولمّا رجعا إلى المدينة، ضرب لهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسهمهما من غنيمة بدر وأجرهما، أي أنّه صلّى الله عليه وسلّم اعتبرهما مجاهدَيْن مثلهما مثل من اشترك في المعركة وقاتل.[٤٦٧]
وروى ابن عساكر: "كان طلحة بن عبيد الله بالشام في تجارة، حيث كانت وقعة بدر، فضرب له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسهمه. فلمّا قدم، قال: يا رسول الله! وأجري؟
قال: وأجرك."[٤٦٨]

وهذا أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه يخرج إلى الشام للتجارة بعد الهجرة لحبّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وحبّ أبي بكر للتجارة، كما روي عن أم سلمة، زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ورضي عنها: "لقد خرج أبو بكر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تاجراً إلى بُصْرى، لم يمنع أبا بكر من الضّنّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وشُحِّه على نصيبه منه، من الشخوص إلى التجارة، وذلك لإعجابهم بكسب التجارة، وحبّهم للتجارة، ولم يمنع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر من الشخوص في تجارته لحبّه وصحابته وضَنِّه بأبي

٤٦٦ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ١١، ص ص ١٩٣-١٩٤.

٤٦٧ــ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٨٤؛ ابن كثير، البداية،؛ البخاري، صحيح، كتاب فرض الخمس، وباب إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة ؛ سعيد حوّى، الأساس في السُّنّة، ج ١، ص ٤٨٩.

٤٦٨ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ١١ ص ١٩٢؛ ابن عبد البر، الدُّرَر، ص ١٢٣.

بكر، وقد كان بصحابته مُعجَباً، لاستحباب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التجارةَ وإعجابه بها."[٤٦٩]

ويروى أيضاً، أنّ أبا بكر الصّدّيق خرج قبل وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعام في تجارة إلى بُصْرى...[٤٧٠]

وأعلن رسول الله الحرب على كلّ من حاول إيقاف عجلة الاقتصاد الإسلامي الناشئة في المدينة، فهذا كعب بن الأشرف، اليهودي، يحاول أن يمنع الرسول صلّى الله عليه وسلّم من أن يؤسِّس سوقاً مستقلاً للمسلمين بالقرب من سوق بني قينقاع، إحدى القبائل اليهودية، الّتي سكنت المدينة، في السنة الثانية للهجرة النبويّة.

روى ابن شَبَّة، عن صالح بن كَيْسان، قال: "ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قُبَّةً في موضع بقيع الزبير، فقال: هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف، فدخلها، وقطع أطنابها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا جَرَمَ لأنقلنَّها إلى موضع هو أغْيَظُ له من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثمّ قال: هذا سوقكم، لا تَتَحَجَّروا، ولا يُضْرَب عليه الخَراج."[٤٧١]

واستمرَّ كعب بن الأشرف في عدائه للرسول صلّى الله عليه وسلّم، وللمسلمين، حيث أخذ يهجو الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأزواجه الطاهرات، ويحرِّض الكفّار على قتال الرسول صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين، حتّى أرسل الرسول صلّى الله عليه وسلّم إليه محمد بن مسلمة مع رجال آخرين من الأنصار، فقتلوه في حصنه.[٤٧٢]

٤٦٩ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج١٤، ص٩١؛ الطيالسي، المسند، حديث١٦٠٠، ص٢٢٣،باختصار

٤٧٠ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ١٠٢-١٠٣. أبو بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٦٢، باب الكسب والتجارة ومحبتها؛ الفسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، م١، ص ٣٦٥-٣٦٦ بتفصيل أكثر.

٤٧١ــ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج ٢، ص ص ٧٤٧-٧٤٨؛ لفت انتباهي الى هذه المعلومة مقال كتبه أستاذي الفاضل قسطر، بالإنكليزية، بعنوان (سوق النبي)، فله الشكر.

٤٧٢ــ ابن عبد البر، الدُّرَر في اختصار المغازي والسيَر، ص ص ١٥٠-١٥٣.

وفي رمضان سنة ستٍّ من الهجرة بعث رسولُ الله زيدَ بنَ حارثة إلى أمِّ قرفة، فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزاري، بناحية وادي القُرى، على سبع ليالٍ من المدينة، وكان سببها، أنّ زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا كانوا بوادي القُرى، لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه، وضربوا أصحابه، وأخذوا ما كان معهم، وقدم زيد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأخبره، فبعثه صلّى الله عليه وسلّم إليهم، فكمن أصحابه بالنهار، وساروا بالليل، ثمّ صبَّحهم زيد وأصحابه، فكَبَّروا، وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وكانت ملكة، رئيسة، وفي المثل، يقال: (أمنع وأعزّ من أم قرفة)، لأنه كان يعلَّق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً، كلّهم لها مَحْرَم، وأخذوا ابنتها، جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقام إليه عرياناً، يجرّ ثوبه حتى اعتنقه، وقبَّله، وسأله، فأخبره بما ظفر به."[٤٧٣]

ولأهميّة التجارة والاقتصاد في الإسلام، فإنّ المسلمين الأوائل لم يضيِّعوا أيّة فرصة تسنح لهم للإتِّجار والكسب، حتى ولو في الحرب، كما فعلوا حين خرجوا إلى بدر الموعد للقاء أبي سفيان وقريش بعد معركة أحُد بسنة، كما روي عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه قوله: "... فخرجوا [أي المسلمون]، فلقد خرجتُ ببضاعة إلى موسم بدر، فربحتُ للدينار ديناراً، فرجعنا بخير وفضل من ربّنا. فسار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المسلمين، وخرجوا ببضائع لهم ونفقات، فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال، فأقاموا ثمانية أيّام والسوق قائمة."[٤٧٤]

قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب الزُّهري، وروى عن عروة بن الزبير في غزوة بدر الموعد: "استجاب المسلمون لله ولرسوله، وخرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا له، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا.

٤٧٣ــ الدياربكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ص ١٢.

٤٧٤ــ الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٨٧ و ٣٢٧؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ١٨٤.

وكان بدر متجراً يُوافى في كل عام. فانطلقوا حتى أتَوا موسم بدر، فقضوا منه حاجتهم. وأخلف أبو سفيان الموعد، فلم يخرج هو ولا أصحابه.
وقال الواقدي: فأقام المسلمون ثمانية أيام، وباعوا بضائعهم، فربح الدرهم درهماً. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل."[٤٧٥]
وروى الطبري: "أنّ الدرهم ربح درهمين."[٤٧٦]

وأنزل الله سبحانه وتعالى في هؤلاء الّذين استجابوا للرسول صلّى الله عليه وسلّم وخرجوا إلى بدر الموعد مادحاً إيّاهم على استجابتهم للجهاد في سبيله بالرغم ممّا أصابهم يوم أحُد: (أَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيماناً، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوانَ اللهِ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران ٣/١٧٣-١٧٤)

٤٧٥ــ الذهبي، تاريخ الإسلام، م ١، ص ص ٢٠٣-٢٠٤؛ ابن حبّان، السيرة النبوية، ص ص ٢٣٨-٢٣٩.
٤٧٦ــ الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٥٦١.

obeikandl.com

الحَثُّ على العمل والكَسْب الحَلال

اعتبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العملَ، والكسب لإعالة الوالدين والأولاد، حتى وإعالة الإنسان نفسه نوعاً من الجهاد، حيث قال صلّى الله عليه وسلّم: (لَيْسَ الْجِهادُ أنْ يَضْرِبَ بسَيْفِهِ في سَبيلِ اللهِ، إنَّما الْجِهادُ مَنْ عالَ والِدَيْهِ، وَعالَ وَلَدَهُ، فَهُوَ في جِهادٍ، وَمَنْ عالَ نَفْسَهُ فكَفَّها عَنِ النّاس، فَهُوَ في جِهادٍ.)[٤٧٧]

فعل الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم والصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين هذا، لأنّ الإسلام دين العمل والجدّ والإجتهاد، لا دين الكسل والخمول والتواكل، وإنّ العمل والعبادة عنصران متلازمان في الإسلام، لا يأخذ أحدهما مكان الآخر.

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وَبَّخَ معاذ بن جبل، أحد الصحابة، لأنّه أطال في قراءته في صلاة العشاء في إحدى الليالي، ممّا أدّى إلى خلاف بينه وبين أحد الأنصار الّذين كانوا يصلّون خلفه ممّن يعملون في استعذاب الماء[٤٧٨] لأهل المدينة، ممّا يضطرّه إلى القيام من نومه باكراً جدًّا، وعليه والحالة هذه أن ينام مبكِّراً، وشكا الأنصاريّ إلى الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ما فعل معاذ في الليلة السابقة، فغضب الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، وقال مخاطباً معاذ: (أفَتّانٌ أنْتَ يا مُعاذُ!)[٤٧٩]

وروى الذهبي عن جابر، قال: "صلّى معاذ بأصحابه العشاءَ، فطوَّل عليهم، فانصرف رجل منّا، فصلّى وحده. فأخبر معاذ عنه، فقال: إنّه منافق. فلمّا بلغ ذلك

٤٧٧ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٣٢٦.

٤٧٨ــ إستعذاب الماء = إحضار الماء بارداً من الينابيع لأهل المدينة للشُّرب قبل شروق الشمس.

٤٧٩ــ مسلم، مختصر الصحيح، ص ص ٨٢ــ٨٣.

الرجل، دخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأخبره بما قال معاذ. فقال: (أتُريدُ أنْ تَكُونَ فتّاناً يا مُعاذُ؟ إذا أمَمْتَ النّاسَ، إقْرَأ بالشَّمْسِ وَضُحاها، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى، واقْرَأ سورَةَ وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَى!)[٤٨٠]

هذا التصرُّف من بعض من يؤُمُّون الصلاة جعل الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أن يُصدر أمره للأئمّة بالتخفيف في الصلاة كما روي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله! والله! إنّي لأتأخّر عن صلاة الغداة ممّا يطيل بنا فيها فلان، فما رأيت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أشدَّ غضباً في موعظة منه يومئذٍ، فقال: (أيُّها النّاسُ! إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرينَ، فَمَنْ صَلَّى بالنّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإنَّ فِيهِمُ الْكَبيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَذا الْحاجَةِ.)[٤٨١]

وقال صلّى الله عليه وسلّم أيضًا: (إذا صَلَّى أحَدُكُمْ بالنّاس، فَلْيُخَفِّفْ، فَإنَّ فِيهِمُ السَّقِيمَ، وَالضَّعِيفَ، وَالْكَبيرَ، فَإذا صَلَّى أحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ، فَلْيُطَوِّلْ ما شاءَ.)[٤٨٢]

نفهم ممّا تقدّم، أنّ العمل وطلب الرزق، مُساوٍ للصلاة في أهمِّيَّته في حياة الإنسان المسلم المؤمن، فلا يأخذ هذا من هذا، ولا هذا من هذا. أي أنّ الصلاة لا تُصَلّى على حساب العمل، ولا العمل يُعمل على حساب الصلاة، فللصّلاة وقتها، وللعمل وقته. فنحن والحالة هذه، كما قال سبحانه وتعالى: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا! إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ، ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ، فَانْتَشِرُوا في الأرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.) (الجمعة ٦٢/٩-١٠)

٤٨٠ــ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (٤٦٥) باب القراءة في العشاء؛ النسائي، سنن، ج ٢، كتاب الإفتتاح، ص ١٧٣؛ ابن ماجة، سنن، كتاب إقامة الصلاة (٩٨٦) باب (من أَمَّ قوماً فليخفِّف)؛ أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٣٤٩.

٤٨١ــ الدارمي، سنن، ج ١، ص ٢٨٨.

٤٨٢ــ النسائي، سنن، ج ٢، ص ٧٤.

وقال سبحانه وتعالى موضِّحاً للناس السّبيلَ الذّهبيّ الّذي عليهم أن يسلكوه في هذه الحياة الدنيا: (وَٱبْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدّارَ الآخِرَةَ، وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا، وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ، وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ في الأَرْض، إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.) (القصص ٧٧/٢٨)

وقال حذيفة بن اليمان مستلهماً الآية السابقة: "ليس خِيارُكم مَن ترك الآخرةَ للدُّنيا، ولا من ترك الدُّنيا للآخرة، ولكن من أخذ من هذه لهذه."[٤٨٣]
وفي رواية أخرى، قال حذيفة: "خِيارُكُمُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ دُنْياهُمْ لآخِرَتِهِمْ، وَمِنْ آخِرَتِهِمْ لَدُنْياهُمْ."[٤٨٤]

وينسب إلى عمرو بن العاص قوله: "إعملْ لدنياك كأنّك تعيش أبداً، وٱعمل لآخرتك كأنّك تموت غدًا!"[٤٨٥]

والرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أعطى الأفضليّة للّذي يكون عمله قصداً بين العبادة والسعي في طلب الرزق، وليس للّذي ينقطع للعبادة فقط، والناس تَعوله وتقوم بأمر إطعامه، والنفقة عليه، كما يدلّنا الحديث النبوي الشريف التالي: "جاء قوم إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فأخذوا يمدحون رجلاً منهم بالصلاح، والصلاة، والصيام، والقيام.
فقال: أَيُّكُمْ يَكْفِيهِ طَعامَهُ وَشَرابَهُ؟
فقالوا: كلُّنا.
فقال: كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ."[٤٨٦]

٤٨٣ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ٢، ق ١، ص ٢١؛ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٢٦٠.

٤٨٤ــ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٣٢٦.

٤٨٥ــ ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٦، ص ٢٠٢.

٤٨٦ــ الصنعاني، المُصَنَّف، ج ١١، ص ص ٢٤٤-٢٤٥، حديث ٢٠٤٤٢.

وفي رواية أخرى عن مسلم بن يسار: "أنّ رُفْقة من الأشعريين كانوا في سفر، فلمّا قدِموا، قالوا: يا رسول الله! ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضلَ من فلانٍ، يصوم النهار، فإذا نزلنا، قام يُصَلّي حتّى نَرْتَحِل.

قال: مَنْ كانَ يَمْهَنُ لَهُ، أوْ يَكْفِيهِ، أوْ يَعْمَلُ لَهُ؟

قالوا: نحن.

قال: كُلُّكُمْ أفْضَلُ مِنْهُ."[٤٨٧]

وعن أنس رضي الله عنه، قال: "كُنّا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في السفر، فمنّا الصائم، ومنّا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حارّ، أكثرنا ظِلاً صاحب الكساء، ومنّا من يتّقي الشمس بيده، قال: فسقط الصّوّامُ. فقام المفطرون، فضربوا الأبنية، وسَقوا الرِّكاب.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بالأجْرِ.)"[٤٨٨]

ومن الأحاديث النبوية الشريفة، التي بلغت الذّروة في الحثّ على العمل وإكماله، حتى آخر لحظة من الدنيا، الحديث الّذي يقول: (إنْ قامَتِ السّاعَةُ، وَفي يَدِ أحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ[٤٨٩]، فإنِ اسْتَطاعَ أنْ لا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَها، فَلْيَغْرِسْها!)[٤٩٠]

وفي رواية أخرى أوردها الطيالسي عن أنس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إنْ قامَتِ السَّاعَةُ، وَفي يَدِ أحَدِكُمْ فَسِيلٌ، فإنِ اسْتَطاعَ أنْ لا تَقُومَ السّاعَةُ، حَتَّى يَغْرِسَها، فَلْيَفْعَلْ)[٤٩١]

والسؤال الّذي يتبادر إلى الذهن في هذه الحالة، لمن يغرسها؟ ومن الّذي سيأكل منها وقد قامت القيامة؟ الجواب: طبعاً، لا أحد. ولكنّه الحث على العمل وإكماله، وحثّ المسلم وتذكيره بعدم التوقف عن عمله الّذي بين يديه حتى يكمله ولو قامت القيامة.

٤٨٧ــ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٣٢٦.

٤٨٨ــ البخاري ومسلم.

٤٨٩ــ شتلة النخل الصغيرة.

٤٩٠ــ ابن حنبل، المسند، م ٣، ص ١٨٤، ١٩١؛ الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج ٢، ص ٢٦١.

٤٩١ــ الطيالسي، المسند، ص ٢٧٥، حديث ٢٠٦٨.

إكمال العمل في الإسلام يجب أن يصحبه الإتقان، كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذا عَمِلَ أحَدُكُمْ عَمَلاً، أنْ يُتْقِنَهُ.)[٤٩٢]

إتقان العمل والإحسان فيه مطلوب حتى في ذبح الحيوانات والطيور، كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى كَتَبَ الإحْسانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ، فأحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإذا ذَبَحْتُمْ، فأحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ.)[٤٩٣]

لأنّ الّذي يطالب بأجر عمله، يطالبه الله، والناس بالعمل، والعمل هنا هو المتقن منه.

وعلى صاحب العمل أن لا يمطل العامل، بل عليه أن يدفع أجره كاملاً حالاً، كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (أعْطُوا الأجِيرَ أجْرَهُ قَبْلَ أنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ.)[٤٩٤]

والعمل مهما كان في نظر بعض الناس حقيراً، فهو واجب مقدَّس في الإسلام، لأنّه يحفظ كرامة الإنسان، وماء وجهه، من أن يمدَّ يده للناس، يستجدي القوت منهم، ومنهم من يعطيه، ومنهم من يمنعه، بغلظة، وفظاظة في بعض الأحيان، والرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم بيّن لنا ذلك في حديثه الشريف التالي: (لأنْ يَأخُذَ أحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأتِيَ الْجَبَلَ، فَيَجِيءَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَها، فَيَسْتَغْنِيَ بِها، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ النّاسَ، أعْطَوْهُ، أوْ مَنَعُوهُ.)[٤٩٥]

وأخبرنا الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، بأنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ المؤمن الّذي له عمل أو حرفة يعتاش منهما: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ.)[٤٩٦]

٤٩٢ــ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٩٨.

٤٩٣ ــ مسلم؛ الترمذي، النسائي؛ أنظر ابن الأثير، جامع الأصول، ج ٤، ص ٤٨١، حديث ٢٥٧٣؛ التبريزي، مشكاة المصابيح، ج ٢، ص ١١٩٣، حديث ٤٠٧٣.

٤٩٤ــ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ص ٩٧ــ٩٨.

٤٩٥ــ البخاري، صحيح؛ أنظر النووي، رياض الصالحين، باب في الحث على الأكل من عمل يده، حديث ٥٣٨.

٤٩٦ــ رواه الطبراني في المعجم الكبير؛ والبيهقي؛ أنظر المنذري، الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٥٢٤.

كذلك أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنّ الله سبحانه وتعالى يغفر للإنسان الّذي يُمسي تعباناً من عمله في الكسب الحلال، الّذي يعيش وينفق على عياله منه: (مَنْ أمْسَى كالاً مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، أمْسَى مَغْفُوراً لَهُ.)[٤٩٧]

وفي رواية عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ باتَ كالاً مِنْ طَلَبِ الْحَلالِ، باتَ مَغْفُوراً لَهُ.)[٤٩٨]

وقال صلّى الله عليه وسلّم: (طَلَبُ الْحَلالِ فَريضَةٌ بَعْدَ الْفَريضَةِ.)[٤٩٩]

أي أن طلب الرزق الحلال واجب بعد أداء الصلاة المكتوبة.

السعي في طلب الرزق لإعاشة الأطفال الصغار، والوالدين الشيخين، والزوجة، والأهل، حتى إعالة الرجل نفسه، فهو في سبيل الله. أي يعادل الجهاد في سبيل الله، كما روى كعب بن عُجْرة رضي الله عنه، قال: "مَرَّ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من جَلَدِهِ ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله!

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (إنْ كانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلى وَلَدِهِ صِغاراً، فَهْوَ في سَبيلِ اللهِ، وَإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلى أبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبيرَيْنِ، فَهْوَ في سَبيلِ اللهِ، وَإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلى نَفْسِهِ يُعِفُّها، فَهْوَ في سَبيلِ اللهِ، وَإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعَى رياءً وَمُفاخَرَةً، فَهْوَ في سَبيلِ الشَّيْطانِ.)"[٥٠٠]

وأخبرنا الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، أنّه ليس هناك شيئاً أطيب من كسب الرجل من عمله الحلال، وكلّ نفقة ينفقها الرجل من كسبه الحلال على نفسه، وأهله، وولده، وخادمه، فهو صدقة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (ما كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْباً، أطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَما أنْفَقَ الرَّجُلُ عَلى نَفْسِهِ، وَأهْلِهِ، وَخادِمِهِ، فَهْوَ صَدَقَةٌ.)[٥٠١]

٤٩٧ــ رواه الطبراني في المعجم الأوسط؛ والأصبهاني؛ أنظر المنذري، الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٥٢٤.

٤٩٨ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ١٠، ص ٢٦٧.

٤٩٩ــ المنذري، الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٥٤٦.

٥٠٠ــ رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح؛ أنظر المنذري، الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٥٢٤.

٥٠١ــ المنذري، الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٥٢٢.

هذه المباديء السامية في الحثّ على العمل، وكسب الرزق الحلال بشرف، دفعت أعرابيّاً إلى العمل الشاق حتى خَشِنَت يداه، ولمّا لمست ابنته كفّه ألْفتها خشنة، فقالت: [٥٠٢]

هذه كفُّ أبي خَشَّنها ضَرْبُ مِسْحاةٍ ونَقْلٌ بالزَّبيلِ

فأجابها أبوها:

وَيْكِ لا تَسْتَنْكِري خَشْنَ يدي ليس مَنْ كَدَّ لِعِزٍّ بذَليـــــلِ
إنَّما الذِّلَّةُ أنْ يمشي الفتــى ساحِبَ الذَّيْلِ إلى بابِ البَخِيـلِ

إنّ كلّ ما يعمله الإنسان المسلم من أعمال الخير، فينتفع منه ليس فقط النـاس، بل الحيوانات، والطيور، فهو له صدقة، كما أخبرنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بقوله: (ما مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْساً، فَأكَلَ مِنْهُ إنْسانٌ أوْ دابَّةٌ، إلاّ كان لَهُ صَدَقَةٌ.) [٥٠٣]

وعن أبي الدرداء، أنّ رجلاً مرَّ به وهو يغرس غرساً بدمشق، فقال له: أتفعل هذا، وأنت صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قال: لا تعجل عليَّ! سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (مَنْ غَرَسَ غَرْساً، لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ، وَلا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، إلاّ كانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ.) [٥٠٤]

إن أعمال الصدقة لا تنتهي بالنسبة للمسلم، لدرجة أنّه إذا امتنع عن الشرّ فهو له صدقة، كما روى أبو موسى الأشعري، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال:
(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ.
قالوا: يا رَسُولَ اللهِ! إنْ لَمْ يَجِدْ؟
قال: يَعْمَلُ بيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ.
قالوا: أرَأيْتَ إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ـ أوْ لَمْ يَفْعَلْ؟
قال: يَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ. أوْ بالْخَيْرِ.

٥٠٢ــ أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ١، ص ١٣٤.

٥٠٣ــ البخاري، صحيح، كتاب الأدب، حديث ٢٠١٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٦٧.

٥٠٤ــ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ص ٦٧-٦٨؛ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٢٣٠.

قالوا: أرَأَيْتَ إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟

قال: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فإنَّها لَهُ صَدَقَةٌ.)[٥٠٥]

يلاحظ هنا، أنّ الإسلام، هو الدين الوحيد الّذي يؤجر الإنسان فيه على عمل يعمله لينفع به نفسه شخصيّاً، أو ينتفع منه الآخرون من خلق الله، كالحيوانات، والطيور، حتى إذا كفّ الإنسان عن عمل الشر، فله صدقة.

ممّا تقدّم، نستدلّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أحبّ العمل، وحثَّ على إعزاز النفس، وحفظها من الإمتهان، ومقت البطالة، والتواكل، والإستجداء، لأنّ الإستجداء مضرّ، لأنّه يورث المذلّة، والإستكانة، ويسقط المروءة، ويدعو إلى ارتكاب الجرائم، والوقوع في مخالب الفقر، وحبائل الشيطان والأشرار، ومدعاة إلى فساد الأخلاق.

والعمل مفضَّل على نافلة الصلاة والصوم، وهو فضيلة، والفراغ رذيلة، ولقد قيل:

إنَّ الشَّبابَ وَالْفَراغَ وَالْجِدَة مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيُّ مَفْسَدَة

وقد كان الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم في صباه يشتغل برعاية الغنم، وفي شبابه اشتغل بالتجارة، وعاش من ربحها، لأنَّه صلَّى اللَّه عليه وسلّم لم يكن يقبل الصَّدقة من أحد، حتى ولا في صباه، وكذلك الصحابة، وعظماء المسلمين في أيّامه ومن بعده، مثل: أبو بكر الصّدّيق، وعمر بن الخطاب، والزبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن عوف،وغيرهم الكثير. إنّنا لم نسمع عن صحابي واحد من الصحابة الكبار لم يعمل بالتجارة أو الزراعة، ولم يُعرف عن أيّ منهم أنّه مدَّ يده مستجدياً من أحد، حتى ولا من الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

٥٠٥ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ٩، ص ٣٢٥.

النهي عن السؤال (الشِّحدة)

السّؤال (الشِّحدة) ليس من أخلاق المسلم، المؤمن، إلاّ إذا اضطرّ إلى ذلك، بسبب مرض، أو معوِّق جسدي، يمنعه من العمل، إن الكثيرين من المسلمين في عهد الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم كانوا فقراء، محتاجين، ولكنّهم تحمّلوا ضغط الفقر، والجوع، ولم يسألوا أحداً شيئاً، هؤلاء المتعفّفون عن السؤال مدحهم الله سبحانه وتعالى بقوله: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ، يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ، لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً، وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ.) (البقرة ٢/٢٧٣)

لهذا ومثله عمل كبار الصحابة واجتهدوا وتاجروا، لأنّهم كانوا رجال إيمان صحيح، ورجال عمل، ولأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نهى عن السؤال، وشدَّد في ذلك، وحثَّ على العمل، والكسب الحلال، وفضّل اليد العليا، أي يد المعطي، على اليد السفلى، أي يد الآخذ، السائل، كما روى الصحابي، حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (الْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ.)[٥٠٦]

وأخبرنا الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، أنّ أيّ شيء يحصل عليه الإنسان نتيجة للإلحاف في المسألة، فإنّه لا يبارَك له فيه: (لا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ! لا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ شَيْئاً وأنا لَهُ كارِهٌ، فَيُبارَكُ لَهُ فيما أَعْطَيْتُهُ.)[٥٠٧]

٥٠٦ــ رواه البخاري ومسلم؛ أنظر النووي، رياض الصالحين، حديث ٥٢٥.

٥٠٧ــ رواه مسلم؛ أنظر النووي، رياض الصالحين، حديث ٥٢٧.

والذي يسأل الناس ليزيد ما عنده، فإنما يسأل جمراً من نار جهنّم، لأنّه على الإنسان أن يقنع بما عنده مهما كان قليلاً، وفي هذا الشأن، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محذّراً من كثرة السؤال : (مَنْ سَأَلَ النّاسَ تَكَثُّراً، فإنَّما يَسْأَلُ جَمْراً، فَلْيَسْتَقِلَّ أوْ فَلْيَسْتَكْثِرْ.)[٥٠٨]

وفي حديث آخر، قال صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ ما يُغْنِيهِ، فإنَّما يَسْتَكْثِرُ مِنَ النّار.)[٥٠٩]

زيادة على كلّ هذا، فإنّ الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم تكفّل بالجنّة لمن تكفّل له أن لا يسأل الناس، كما روى الصحابيُ، ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (مَنْ تَكَفَّلَ لِي أنْ لا يَسْأَلَ النّاسَ شَيْئاً وَأتَكَفَّلُ لَهُ بالْجَنَّةِ.)
فقلت: أنا.
فكان ثوبان لا يسأل أحداً شيئاً.

لم يترك الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أيّة مناسبة تمرّ دون أن يمنع المسلمين من السؤال (الشحدة)، ويحثّهم على العمل والكسب بشرف، حتى لا يكونوا مدينين لأحد من الناس ممّا يذلّهم ويجعلهم يخضعون لهم بالحق وبالباطل، وفي كثير من الأحيان بالباطل.
روى أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رجلاً من الأنصار أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فشكا إليه الحاجة.
فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ما عِنْدَكَ شَيْءٌ؟
فأتاه بحِلْس وقدَح.
فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: من يشتري هذا؟
فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم.

٥٠٨ــ رواه مسلم؛ أنظر النووي، رياض الصالحين، حديث ٥٣١.
٥٠٩ــ رواه أبو داوود.

قال: من يزيد على درهم؟

فسكت القوم.

فقال: مَنْ يَزيدُ؟

فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين.

فأعطاهما إيّاه. فأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: اشْتَرِ بأحدهما طعاماً، فانْبِذْهُ[٥١٠] إلى أهلِكَ، واشْتَرِ بالآخر قدُوماً، فائتني به.

فأتاه به، فشدَّ فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عوداً بيده، ثمّ قال: إذْهَبْ، فاحْتَطِبْ، وَبِعْ، وَلا أرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً.

ففعل، فجاء وقد أصاب[٥١١] عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: هذا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً[٥١٢] في وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ."[٥١٣]

وقال فيلسوف: لأن تستغني عن الشيء، وتُكفاه، خير من أن تَسْأَلَهُ، وتُعْطاه.[٥١٤]

٥١٠ــ إنبِذه = قدِّمه، أعطِه.

٥١١ــ أصاب = كسب.

٥١٢ــ نُكْتة = أي أثراً قليلاً كالنقطة شبه الوسخ في المرآة أو الثوب الأبيض.

٥١٣ــ رواه أبو داوود؛ والنسائي؛ والترمذي، وقال حديث حسن؛ أنظر الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٤، ص٨٤.

٥١٤ــ التوحيدي، البصائر، ج ١، ص ١٣٤.

امتناع الصحابة عن السُّؤال

هذه الأحاديث وغيرها في النهي عن السؤال، والتشديد في هذا الأمر من قِبَل الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم أثّرت في كثير من الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، ولم يمتنعوا عن السؤال فقط، بل نراهم امتنعوا عن قبول أي مال أتاهم دون أن يتعبوا في تحصيله حتى من الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم، فعملوا، واجتهدوا في العمل، والتجارة، من أجل تحصيل المال، لأنّ في العمل، والكسب الحلال، كرامة للإنسان، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يحبّ أن يكون الإنسان عالةً على غيره، ويعيش ذليلاً مهاناً، لأنّه سبحانه كرّم بني آدم، كما قال جَلَّ وعلا: (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ في البَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ، وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً.) (الإسراء ٧٠/١٧)

والقرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات الكريمة التي تحثُّ الناس على العمل، والسعي في طلب الرزق، والكسب الحلال الطيّب، ليحفظوا كرامتهم، مثل قول الله سبحانه وتعالى: (وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا.) (البقرة ٢٧٥/٢)

وقال سبحانه حاثّاً بني آدم على العمل، وطلب الرزق: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً، فَامْشُوا في مَناكِبِها، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ.) (الملك ١٥/٦٧)

وقال سبحانه وتعالى جامعاً بين رزقه، والسبل المؤدية إليه، وعمل الناس أنفسهم لكي يحصلوا على معاشهم: (وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها، وَأَخْرَجْنا مِنْها حَبّاً، فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ، وَجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنابٍ، وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُون، لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ، وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ، أَفَلا يَشْكُرُونَ.) (يس ٣٣/٣٦-٣٥)

وربط الله سبحانه وتعالى بين الصلاة والزكاة في اثنتين وثلاثين آية في القرآن الكريم، ومن الطبيعي، أنّ الزكاة لا تأتي إلاّ من عمل أو تجارة، وهذا الربط بين

الصلاة التي هي عمود الدين، وأساسه الروحي، والزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، وعموده الاقتصادي، لأكبر دليل على أهميّة العمل، والكسب الحلال في الإسلام. ومثال على حثّ المسلمين على العمل، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، نورد الآية الكريمة التالية: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ، أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ.) (الحج ٤١/٢٢)

إنّ الله سبحانه وتعالى لم يستثنِ أحداً من البشر من الكسب الحلال عن طريق العمل، حتى الأنبياء، فإنّه سبحانه وتعالى أمرهم بالعمل، والكسب، فهذا نبيّ الله داوود، يأمره الله سبحانه وتعالى بالعمل، بقوله: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ فَضْلاً، يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ، وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ، وَاعْمَلُوا صَالِحاً، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.) (سبأ ١٠/٣٤-١١)

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ لا يَأْكُلُ إِلاّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.)[٥١٥]

وقال صلّى الله عليه وسلّم: (كَانَ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلامُ نَجّاراً.)[٥١٦]

والأنبياء بدورهم عليهم صلوات الله وسلامه لم يترفَّعوا عن العمل مهما كان نوعه، بل تقدّموا إليه بطيبة نفس، لأنّهم لم يريدوا أن يقبلوا صدقة أحد عليهم، وأكبر برهان على هذا، نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم الّذي عمل في رعاية المواشي عندما كان صغيراً، ولمّا كبر عمل بالتجارة، كما روي عنه صلّى الله عليه وسلّم، قال: (مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاّ وَرَعَى الْغَنَمَ. فقال أصحابه: وَأَنْتَ؟ قال: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعاها عَلَى قراريط لأهْلِ مَكَّةَ.)[٥١٧]

٥١٥ــ رواه البخاري ٢٥٩/٤؛ أنظر النووي، رياض الصالحين، حديث ٥٣٩.

٥١٦ــ رواه مسلم، حديث ٢٣٧٩؛ أنظر النووي، رياض الصالحين، حديث ٥٤٠.

٥١٧ــ منصور علي ناصف، التاج الجامع للأصول، ج ٢، ص ١٩٤.

وكان من خصائصه صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان لا يأكل الصدقة، كما روي عن أبي هريرة، قال: "كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أُتِيَ بطعام، سأل عنه: أهديّة أم صدقة؟ فإن قيل صدقة، قال لأصحابه: كُلُوا! ولم يأكل. وإن قيل هديّة، ضرب بيده، فأكل معهم."[٥١٨]

قال العلماء: "لمّا كانت الصدقة أوساخ الناس، تنزَّهَ منصبه الشريف عن ذلك، وانْجَرَّ إلى آلِهِ بسببه، وأيضاً فالصدقة تعطى على سبيل التَّرَحُّم المبني على ذُلِّ الآخذ، فأبْدِلوا عنها بالغنيمة، المأخوذة بطريق العِزّ والشرف المنبيء عن عِزِّ الآخذ، وذُلّ المأخوذ منه. وقد اختلف علماء السلف، هل شاركه في ذلك الأنبياء، أم اختصّ به دونهم؟ فقال بالأوّل الحسن البصري، وبالثاني سفيان بن عيينة."[٥١٩]

وهذا موسى عليه السلام عمل ثماني أو عشر سنين، عند شعيب في رعاية المواشي، مهراً لابنته التي تزوَّجها موسى، كما قصَّ علينا سبحانه وتعالى: (قال: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ، وَما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصّالِحِينَ. قالَ: ذالِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّما الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ، فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ، وَاللهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ.) (القصص ٢٧/٢٨-٢٨)

والنبي نوح عليه السلام كان نجّاراً، نستدلّ على ذلك من قول الله تعالى لنوح عندما أمره ببناء الفُلْك: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا، وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا، إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ.) (هود ٣٧/١١)

كذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين عملوا، ولم يتأخّروا، ولم يتوانَوا، عن القيام بأيّ عمل يكسب لهم لقمة شريفة. كما فعل أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه، لمّا استُخْلِف قال: "لقد علم قوْمي، أنّ حِرْفَتي لم تكن تعجز عن

٥١٨ــ رواه البخاري ومسلم في باب الزكاة.

٥١٩ــ السيوطي، تهذيب الخصائص النبوية الكبرى، هذّبه الشيخ عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، ص ٤٠٦.

مؤونة أهلي، وشُغِلتُ بأمر المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، وأحترف للمسلمين فيه."[٥٢٠]

أي أنّ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه عمل على تنمية مال المسلمين وأخذ كفايته منه، فكان يأخذ كفايته من بيت المال بعلم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما تزوّج فاطمة الزهراء، بنت الرسول صلّى الله عليه وسلّم ورضي عنها وأرضاها، لم يكن عنده مال ينفقه في زواجه، فواعد رجلاً صَوّاغاً من بني قينقاع أن يرتحل معه، فيأتي بإِذْخِرٍ ليبيعه في الصوّاغين ليستعين به في وليمة عرسه.[٥٢١]

والصحابي الجليل، سلمان بن الإسلام، الّذي كان عطاؤه خمسة آلاف درهم، وكان إذا خرج عطاؤه تصدَّق به، ويأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفترش بعضها، ويلبس بعضها.

ودخل قوم على سلمان رضي الله عنه، وهو أمير على المدائن، وهو يعمل هذا الخوص، فقيل له: لِمَ تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟

فقال: إنّي أحبّ أن آكل من عمل يدي.[٥٢٢]

بناء على الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحثُّ على العمل والكسب الحلال، وتنهى عن التسوُّل من أيدي الناس، رفض كثير من الصحابة ما كان يُعْرَض عليهم من الهبات التي كان يقدِّمها لهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم والخلفاء الراشدون من بعده.

وإثبات على ذلك، ما روى سالم بن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:

٥٢٠ــ رواه البخاري؛ أنظر منصور علي ناصف، التاج الجامع للأصول، ج ٢، ص ١٩٤.

٥٢١ــ ابن كثير، البداية والنهاية، م ٢، ج ٣، ص ٣٤٧.

٥٢٢ــ الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ١٠٢.

"كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُعطيني العطاء، فأقول له: أعْطِهِ مَنْ هو أفقرُ إليه منّي!
فقال: (خُذْهُ! إذا جاءَكَ مِنْ هَذا الْمالِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلا سائِلٍ، فَخُذْهُ، فَتَمَوَّلْهُ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وما لا، فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ.)
قال سالم: فكان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً، ولا يَرُدُّ شيئاً أعطيه."[٥٢٣]

وكذلك ما يروى عن عمرو بن العاص، قال: "بعث إليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثمّ ائتني!
قال: فأتيته وهو يتوضّأ، فصعَّد فيَّ البصر، ثمّ طأطأه، فقال: إنّي أريد أن أبعثك على جيش، فيسلّمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة.
فقلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكنّي أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.
فقال: يا عمرو! نِعِمّا بالمال الصالح للمرء الصالح."[٥٢٤]

صحابيّ آخر، هو حكيم بن حِزام، سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثلاث مرّات، فأعطاه، ثمّ نبّهه الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم إلى ما في السؤال من الذّل وقلّة البركة.
ولنستمع إلى الصحابي، حكيم بن حزام، يروي لنا قصّته مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم بنفسه، وكيف امتنع عن أخذ أيّ مال حتى ولو كان له فيه حقّ.
"قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: سألت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فأعطاني، ثمّ سألته فأعطاني، ثمّ سألته فأعطاني، ثم قال: (يا حكيم! إنَّ هَذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بسَخاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرافِ نَفْسٍ لَمْ يَبارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ؛ وَالْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى.)
قال حكيم: فقلت: يارسول الله! والذي بعثك بالحقّ! لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتّى أفارق الدّنيا.

٥٢٣ــ رواه البخاري ومسلم؛ انظر النووي، رياض الصالحين، باب في جواز الأخذ من غير مسألة، حديث٥٣٧
٥٢٤ــ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٦٤.

فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئاً. ثمّ إنّ عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله، فقال عمر: يا معشر المسلمين! أشهدكم على حكيم أنّي أعرض عليه حقَّه الّذي قسم الله له في الفَيْء[٥٢٥] فيأبى أن يأخذه.

فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتّى تُوُفِّيَ."[٥٢٦]

وكذلك الخلفاء، والصالحون من بعدهم نهوا عن السؤال، وحَثّوا على العمل.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنِّي لأرَى الْفَتَى، فَيُعْجِبُنِي، فَأَقُولُ: أَلَهُ حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: لا. سَقَطَ مِنْ عَيْنِي."[٥٢٧]

وحدَّث حُرَيْث بن الربيع العدوي، قال: سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول: "كُتِبِ عليكم ثلاثة أسفار: ألحَجّ، والعُمرة، والرجل يبتغي بماله في وجهٍ من هذه الوجوه. فالمُستَغني، والمتصدِّق، يعني أفضل. والله! لأن أموت في وجهٍ من هذه الوجوه، أبتغي بمالي من فضل الله، أحبُّ إليَّ من أن أموت على فراشي. ولو قلتُ: إنَّها شهادة، لرأيت أنّها شهادة."[٥٢٨]

وروي من طريق آخر، عن قتادة، عن عمر بن الخطاب، قال: "يا أيُّها الناس! كُتِبَ عليكم أن يأخذ أحدكم مالَه، فيبتغي فيه من فضل الله عزَّ وجلَّ، فإنّ فيه العبادة والتصديق، وأيم الله! لأن أموت في شُعْبَتَيْ رحلي، وأنا أبتغي بمالي في الأرض من فضل الله، أحبُّ إليَّ من أن أموت على فِراشي."[٥٢٩]

٥٢٥ــ الفيء = الغنيمة التي غنمها المسلمون في الحرب.

٥٢٦ــ أخرجه البخاري ومسلم؛ انظر النووي، رياض الصالحين، باب في القناعة والعفاف والاقتصاد، حديث٥٢٣.

٥٢٧ــ ابن الجوزي، أخبار عمر بن الخطاب، ص ٢٣٠؛ الأبشيهي، المستطرف، ج ٢، ص ٣٨٦.

٥٢٨ــ أبو بكر الخلاّل، الحثّ على التجارة والصناعة والعمل، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٥٦.

٥٢٩ــ الخلاّل، الحث على التجارة والصناعة والعمل، ص ص ٥٦-٥٧.

وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قوله: "ما جاءني أجلي في مكان ما عدا في سبيل الله، أحبّ إليّ من أن يأتيني وأنا بين شُعْبَتَيْ رَحْلي أطلب من فضل الله."[٥٣٠]

وقال بعض الصالحين: "ليست العِبادة عندنا أن تَصُفَّ قدميك وغيرك يَقُوتُ لك، ولكن إبدأ برغيفيك، فأحرزهما، ثمّ تعبّد."[٥٣١]

obeikandl.com

٥٣٠ــ الصنعاني، المصنف، ج ١١، ص ٤٦٤، حديث ٢١٠١٨.

٥٣١ــ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٦٥.

الله خالِق أسباب العمل والكسب

ومن آيات الله سبحانه وتعالى ومَنِّهِ وكرمه على عباده، أن خلق الليل والنهار، وبادل بينهما، وجعل الليل ليرتاح الناس فيه، والنهار ليعملوا فيه، كما قال سبحانه وتعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ؟
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ، أَفَلا تُبْصِرُونَ؟
وَمِنْ رَحْمَتِهِ، جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.) (القصص ٢٨/٧١-٧٣)

بالإضافة إلى اختلاف الليل والنهار، فإنّ الله سبحانه وتعالى أنعم على الإنسان بأن أرسل الرياح مبشِّرات بالخير، ولتجري الفلك في البحر، كما قال عزَّ من قائل: (وَمِنْ آياتِهِ، أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ، وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.) (الروم ٣٠/٤٦)

وسهَّل لنا سبحانه وتعالى الأرض وجعلها صالحة للعمران والزراعة والفلاحة، كما قال جَلَّ وعلا: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً، فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا، وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ.) (الملك ٦٧/١٥)

ومن أسباب المعيشة التي هيَّأها الله سبحانه وتعالى لنا، الماء الّذي ينزّله من السماء، فسلكه ينابيع في الأرض، لتخرج لنا من كلّ الثمرات، فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوانُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ، فَتَراهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً، إِنَّ فِي ذالِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبابِ.) (الزمر ٣٩/٢١)

هذا الماء الّذي أنزله الله من السماء، وسلكه ينابيع في الأرض، هو أساس الحياة كلّها، كما قال سبحانه وتعالى: (وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، أَفَلا يُؤْمِنُونَ.) (الأنبياء ٣٠/٢١)

نستدلّ من كلّ هذا، أنّ الله سبحانه وتعالى هيّأ لنا أسباب العمل، والكسب، والحياة الحرّة الكريمة، وسخَّر لنا ما في الأرض، وما في السماء، وأسبغ نعمه الّتي لا تُحصى علينا، كما قال جَلَّ وعلا: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً، وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُّنِيرٍ.) (لقمان ٢٠/٣١)

هذا غيض من فيض من نعم الله على الإنسان، لأنّ نِعَمَ الله علينا لا تحصى، كما أخبرنا سبحانه وتعالى:
(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها، إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيم.) (النحل ١٨/١٦)

الاقتصاد في المعيشة

في نفس الوقت الّذي أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعمل، فإنّه سبحانه وتعالى أمرنا بالاقتصاد، والاعتدال في المعيشة وفي كلّ سبل الإنفاق المشروعة، حتى في الصدقات، على الإنسان المعطي أن يكون مقتصداً، ومعتدلاً، وأن لا يكون مبذّراً، لأنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين، كما أمرنا، وأخبرنا الله سبحانه وتعالى: (وَآتِ ذا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ، وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ، وَكانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً.) (الإسراء ٢٦/١٧-٢٧)

والإنفاق على النفس، والعيال، يجب فيه الاعتدال، والقصد، لأنّ الرزق من الله سبحانه وتعالى، فهو الرازق، المعطي، وعليه فليتوكّل العباد في رزقهم، وليس ببخلهم، وتقتيرهم على أنفسهم، وفي نفس الوقت عليهم أن يلتزموا حدود القصد في الإنفاق المشروع، فقال سبحانه وتعالى، يأمرنا بذلك: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ، وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ، فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً.) (الإسراء ٢٩/١٧-٣٠)

وفي آية أخرى مدح اللهُ عبادَ الرحمن، ومن جملة ما مدحهم به، أنّهم ليسوا ببخلاء، ولا مسرفين في إنفاقهم، فقال جَلَّ وعلا: (وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكانَ بَيْنَ ذالِكَ قواماً.) (الفرقان ٦٧/٢٥)

إنّ اللباس الحسن، والأكل، والشراب الطيّب، حلال في الإسلام، حلّلها الله سبحانه وتعالى، ولكنّه سبحانه حرَّم الإسراف في الملبس، والمطعم، والمشرب، فقال عَزَّ من قائل: (يا بَنِي آدَمَ! خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا، وَلا تُسْرِفُوا! إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ. كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.) (الأعراف ٣١/٧-٣٢)

والآيات العامّة التي تحثُّ المسلمين على الإنفاق والصدقة كثيرة جدّاً، تزيد على أربعين آية في القرآن الكريم.

كذلك نرى الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم في نفس الوقت الّذي حثَّ المسلمين على العمل، والكسب، والإنفاق على الوالدين، والأطفال، والعائلة، والأقارب المحتاجين، فإنّه حثَّهم على الاقتصاد، كما رُوِيَ عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (الدِّينُ الْحَسَنُ، وَالسَّمْتُ الصَّالِحُ، وَالاِقْتِصَاد، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ.)[٥٣٢]

في نفس الوقت الّذي حثَّ الرسولُ الكريمُ المسلمين على الاقتصاد، فإنَّه حثَّهم على عدم التبذير، أو تضييع أي شيء يُنْتَفَعُ به، حتى ولو عصفوراً صغيراً، فقال صلّى الله عليه وسلّم: (ما مِنْ إنْسانٍ يَقْتُلُ عُصْفُوراً، أوْ ما فَوْقَها بِغَيْرِ حَقِّها، إلاّ سَأَلَهُ اللهُ عَنْها.
قيل: يا رَسُولَ اللهِ! وَما حَقُّها؟
قال: أنْ تَذْبَحَها، فَتَأْكُلَها، وَلا تَقْطَعْ رَأسَها، فَتَرْمِي بها.)[٥٣٣]

ونهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الإسراف حتى في ماء الوضوء، حيث يُروى: أنّه صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ بسعد، وهو يتوضّأ. فقال: ما هذا السَّرَفُ؟ فقال: أفي الوضوء إسْرافٌ؟ قال: نَعَمْ. وَإنْ كُنْتَ عَلى نَهَرٍ جارٍ."[٥٣٤]

ويروى عن أنس، قال: "مَرَّ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بتمرة في الطريق، فقال: (لَوْلا أنِّي أخافُ أنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأكَلْتُها.)[٥٣٥]

٥٣٢ــ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٦٦؛ وكيع بن الجرّاح، كتاب الزهد، م ٢، ص ص ٥٩٥-٥٩٦، باب ٤٦، حديث ٣٢٣، وانظر التعليقات في الهامش، إذ فيها روايات أخرى.

٥٣٣ــ الدارمي، سنن، ج ٢، ص ٨٤؛ الحاكم، المستدرك، ج ٤، ص ٢٣٣؛ الفسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، م ١، ص ٢٠٨.

٥٣٤ــ ابن ماجة، سنن، ج ١، حديث ٤٢٥، ص ١٤٧.

٥٣٥ــ الصنعاني، المصنّف، ج ١٠، ص ١٤٤، حديث ١٨٦٤٢.

وعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، بوصيّةِ القرآن الكريم، وتبعوا سُنَّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم في عدم تضييع أيّ شيء مهما كان في نظر بعض الناس تافهاً، حتى ولو تمرة، أو حَبَّة واحدة، كما روى زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: "كنت أمشي مع عمر بن الخطاب، فرأى تمرة مطروحة، فقال: خذها!

فقلت: وما أصنع بتمرة؟

قال: تمرة وتمرة حتّى تجتمع.

فأخذتها، فمرَّ بمِرْبَد تمر، فقال: ألْقِها فيه!"[٥٣٦]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الخُرْقُ في المعيشة، أخْوَفُ عندي عليكم من العَوَز، لأنّه لا يبقى مع الفساد شيء، ولا يَقِلُّ مع الإصلاح شيء."[٥٣٧]

ويروى، أنّ عبد الله بن عمر وجد تمرة في السِّكَّة (الطريق)، فأخذها، فأكل نصفها، ثمّ لقيه مسكين، فأعطاه النصف الآخر.[٥٣٨]

عمل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذلك اتِّباعًا لحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشِقِّ تَمْرَةٍ.)

كذلك رُويَ، أنّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه التقط حبّاتٍ من رُمّان من الأرض، فأكلها.[٥٣٩] ويُروى عنه أيضاً، أنّه دخل حجرته، فرأى حَبّاً منثوراً، فالتقطه، وقال: شبعتم يا آل عليّ![٥٤٠]

كذلك يُروى، أنّ ميمونة، زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأت حَبَّة، فأخذتها، وقالت: لا يُحبُّ اللهُ الفسادَ.[٥٤١]

٥٣٦ــ ابن أبي شيبة، المصنَّف.

٥٣٧ــ وكيع بن الجرّاح، كتاب الزهد، ص ٧٨٤، رقم ٤٦٩.

٥٣٨ــ الصنعاني، المصنّف، ج ١٠، ص ١٤٣، حديث ١٨٦٤٠.

٥٣٩ــ الصنعاني، المصنّف،ج١٠،ص١٤٤،حديث١٨٦٤٢؛ وكيع بن الجرّاح، كتاب الزهد، ص٧٨٤،رقم٤٦٨

٥٤٠ــ وكيع بن الجرّاح، كتاب الزهد، ص ٧٨٣، رقم ٤٦٦.

٥٤١ ــ وكيع بن الجرّاح، كتاب الزهد، ص ٧٨٤، رقم ٤٦٧.

توزيع الثروة في الإسلام

إنّ العمل، والكسب، والإنتاج، والاقتصاد، من أهمّ العوامل في بناء المجتمع الإنساني، أيّ مجتمع كان، والمجتمع المستَهْلِك، أي الذي لا يُنْتِج، بل يعتمد على إنتاج المجتمعات الأخرى، فهو مجتمع ضعيف، فاشل، وفقير، وفوق الكلّ مستعمَر للمجتمع الذي يزوِّده بالإنتاج، كما هو حال معظم دُوَل العالم، المسمَّى "بالعالم الثالث"، ومن بينها الدّوَل الإسلاميّة، التي تخضع جميعها لإرادة أمريكا والغرب، وما حدث في حرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١)، من استجابة معظم الدَّول الإسلاميَّة لرغبات أمريكا لتحطيم العراق إلى الأبد مازال ماثلاً للعيان. وما تبعه من احتلال أفغانستان (٢٠٠١) وتعاون حكومة وجيش الباكستان المطلق مع أمريكا والغرب بتدمير المجتمع الأفغاني، وقتله، وتجويعه، حتى وقتل وتدمير باكستان نفسها. وما حدث للعراق بعد ذلك (٢٠٠٣)، فإنه يندى له جبين الإنسانية خجلاً- إن كانت هناك إنسانية قد بقيت في العالم. وأكبر عار لحق الأمة الإسلامية إلى الأبد، هو تدمير بغداد، عاصمة الدولة الإسلامية لمدة تزيد على ٥٠٠ عام بالصواريخ والقنابل الأمريكية، والعالم الإسلامي من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب صامت صمت أهل القبور. وما عملته حكومة المخلوع حسني مبارك لأهل غزة (٢٠٠٨-٢٠٠٩) عندما هجمت إسرائيل بكل وحشيتها على قطاع غزة لا يمكن أن يُصدَّق. كل هذا حدث لأنَّ هذه الدول الإسلامية تتلقى فتات موائد الأمريكان.

وفي كثير من المجتمعات المنتجة الغنيّة، تتركّز الثروة والأموال في أيدي قلّة جشعة من أبناء ذلك المجتمع، فتطغى هذه القلّة الغنيّة، وتتصرّف بأفراد المجتمع وأموره الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، كما يحلو لها، وبيّن الله سبحانه وتعالى هذه الظاهرة الاجتماعية بقوله: (كَلاّ! إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغَى أنْ رَّآهُ اسْتَغْنَى.) (العلق ٩٦/٦-٧)

ولكي لا تكون الأموال مركَّزة في أيدي قلّة من الناس في المجتمع، وبواسطتها كما قلنا تتسلّط هذه الأقلية الغنيّة على الناس، وتسيِّر أمورهم كيف تشاء، أمر الله سبحانه وتعالى بتوزيع الثروة والدّخْل بين جميع أفراد المجتمع، أي أنّه على السلطة الشرعيّة أن تشرف على توزيع الثروة. لا أعني على طريقة النظام الشيوعي.

ومن المهمّ هنا، أن نُنَبِّه على أنّ الإسلام لم يحارب الغنى والثروة، كما يظنّ بعض الناس خطأً، بل عمل الإسلام على ضبط الثروة، وتوزيعها بالحق توزيعاً عادلاً، يكفل لأفراد المجتمع حياة حرّة كريمة، كما أمر الله سبحانه وتعالى بقوله: (ما أَفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتامَى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ، وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ، إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ.) (الحشر ٧/٥٩)

أمّا بالنسبة لما يُروى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، انّه قال: (اللَّهُمَّ! أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ.)[٥٤٢]

فقد أورد أبو حيّان التوحيدي تعليقاً لأبي سعيد البسطامي على هذا الحديث، فقال: "وأمّا أبو سعيد البسطامي[٥٤٣]، وكان من عجائب الرجال، فإنّه سئل عن قوله صلّى الله عليه وسلّم: (أَللَّهُمَّ! أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَاَحْشُرْنِي مِسْكِيناً)، فاندفع مغضَباً، يقول: مَنْ قال إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مسكين، فهو كافر، وقال للسائل: والله! لولا أنّني أعلم أنّك جاهل، وغِرٌّ، لأمرت بك حتّى تُسْحَبَ على وجهك، وتُضْرَب بالسياط، ولكنّك تَلَقَّفت هذا من هؤلاء الحمقى، المُكَدِّين (الشحادين)، المحتالين، الّذين وَصَموا النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم بهذا النَّعت، وبما يجري مَجْراه. إنَّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم كان غَنِيّاً، ولا أعْني بقولي كان غَنِيّاً، غنيّاً بالله، ذاك غنى مربوط بالإيمان، والتوحيد، والإخلاص، والطهارة، وما

٥٤٢ــ أنظر تعليق الألباني على هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة، م ١، ج ٣، ص ١٠، حديث ٣٠٨.

٥٤٣ــ كان أبو سعيد البسطامي، شيخ خراسان وفارس في زمنه، وهو غير أبي يزيد البسطامي، وله نقد شديد في أبي يزيد، أنظر التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ١، ص ص ٢٠٦-٢٠٧.

أريد شيئاً من ذلك، فإنّ ذلك موفور له في العاجل، ومذخور له في الآجل، إنّما أعني الغنى الّذي هو الأثاث، والثياب، والدّواب، والخدم، فقيل له: فإنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: (وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى.) (الضحى٨/٩٣)

قال: هذا حُجَّتي، فإنّ العائلَ، المُثْقَلُ بالدَّيْن، وقد كان هذا قبل المبعث، فلمّا بعثه الله أزاح عِلَلَهُ فنَوَّرَ قلبه، وملأ من الدُّنيا كَفَّهُ، وإلاّ فبمَ جَيَّشَ الجُيوشَ، وعَقَدَ السرايا، وهادَى الملوك، ونحل الصحابة، وزوَّد الوفود، وأنفق على النساء، وأين بغلته دُلْدُل، وأين سيفه الصمصامة، وأين بُرْدَته وحُلَّتُهُ، وأين ما كان يدَّخره لنفقة عامه، وقوت عياله؟

والله! ما أوتيتُم إلاّ من تقليدكم لقوم تَحَلَّوا عندكم بآدِّعاء الدِّين، وخاتَلُوكُم عمّا حَوَتْهُ اليمين. وأنتم أيُّها الأغنياء! أشبَهُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبصحابته من هؤلاء الّذين لبسوا الأخضر، والأحمر، والأصفر، والأسود، ورقَّعوها بالتكليف."[٥٤٤]

وأورد أبو حيّان التوحيدي في مكان آخر من كتابه رواية أخرى لهذا الحديث تختلف آختلافاً كبيراً عن الرواية السابقة، فقال: "قال عطاء بن رباح: سمعت أبا سعيد الخُدْريِّ يقول: يا أيُّها الناس! آتَّقوا الله عزَّ وجلَّ، ولا يحملكم العُسْرُ، أن تطلبوا الرِّزق من غير حِلِّهِ، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (أللَّهُمَّ! آحْشُرْنِي في زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ، وَلا تَحْشُرْنِي في زُمْرَةِ الأَغْنِياءِ، فَإِنَّ الأَشْقِياءِ مَنْ جُمِعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيا وَعَذَابُ الآخِرَةِ.)[٥٤٥]

وبناء على توجيه الله سبحانه وتعالى لرسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولكي لا يُضَيِّق الأغنياء على الفقراء، نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن آحتكار الطعام والمواد الضرورية، ونهى عن رفع الأسعار في زمن نقص الموادّ الضرورية، فقال صلّى الله عليه وسلّم في النّهي عن آحتكار الطعام: (مَنِ آحْتَكَرَ طعاماً، فَهُوَ خاطِيءٌ.)[٥٤٦]

٥٤٤ــ أبو حيّان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ١، ص ص ٢٠٥-٢٠٦.

٥٤٥ــ أبو حيّان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ٢، ص ٧٦.

٥٤٦ــ رواه مسلم؛ وأبو داوود؛ والترمذي وصحّحه؛ وابن ماجة ولفظهما: "لا يَحْتَكِرُ الاّ خاطِيءٌ".

وعن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (الْجالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ.)[٥٤٧]

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (مَن احْتَكَرَ حُكْرَةً، يُرِيدُ أنْ يُغْلِيَ بها عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خاطِيءٌ.)[٥٤٨]

وروي، "أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرّ برجل يبيع طعاماً في السوق بسعر هو أرفع من سعر السوق، فقال: تبيع في سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: صبراً واحتساباً! قال: نعم يا رسول الله! قال: أبْشِرُوا! فإنَّ الْجَالِبَ إلى سُوقِنَا، كَالْمُجَاهِدِ في سَبيلِ اللهِ، وَإنَّ الْمُحْتَكِرَ في سُوقِنَا، كَالْمُلْحِدِ في كِتَابِ اللهِ."[٥٤٩]

وعن الحسن، قال: "تُقِلَ مَعْقِل بن يَسار، فأتاه عبيد الله بن زياد[٥٥٠] يعوده، فقال: هل تعلم يا معقل أنّي سفكت دماً حراماً؟

قال: لا؛ ما علمتُ.

قال: هل علمتَ أنّي دخلتُ في شيء من أسعار المسلمين؟

قال: ما علمتُ. قال: أجلسوني! ثمّ قال: إسمع يا عبيد الله! حتى أحدّثك شيئاً لم أسمعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرّة ولا مرّتين. سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (مَنْ دَخَلَ في شَيْءٍ مِنْ أسْعار الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، كانَ حَقًّا عَلَى اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى أنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ النّار يَوْمَ الْقِيامَةِ.)

قال: أنت سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟

قال: نعم، غير مرّة ولا مرّتين."[٥٥١]

٥٤٧ــ رواه الحاكم؛ وابن ماجة.

٥٤٨ــ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ص ١٠٠-١٠١.

٥٤٩ــ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ص ٧٥٦-٧٥٧.

٥٥٠ــ عبيد الله بن زياد والي الكوفة في أيام معاوية وابنه يزيد.

٥٥١ــ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ١٠١.

نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن الإحتكار، لأنّ المسلمين شركاء في ثلاثة أشياء حيويّة، هي قِوام الحياة الإنسانيّة، وهي كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (الْمُسْلِمُونَ شُرَكاءُ في ثَلاثَةٍ، في النّار، وَالْكَلأِ، وَالْماءِ.)[٥٥٢]

وعن أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ: (ثَلاثٌ لا يُمْنَعْنَ: الْماءُ، وَالْكَلأُ، وَالنّارُ.)[٥٥٣]

وروي عن مكحول، عن واثلة، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (لا تَمْنَعُوا عِبادَ اللهِ فَضْلَ ماءٍ، وَلا كَلأٍ، وَلا نارٍ، فَإِنَّ اللهَ جَعَلَها مَتاعاً لِلْمُقْوينَ[٥٥٤] وَقِواماً لِلْمُسْتَغِيثِينَ.)[٥٥٥]

٥٥٢ــ رواه أبو داوود

٥٥٣ــ رواه ابن ماجة؛ أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ص ٨٦-٨٧.

٥٥٤ــ المقوين = الضعفاء والفقراء.

٥٥٥ــ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ج ١٤، ص ٧٩.

obeikandl.com

سوق المدينة

لقد مرّ معنا آنفًا، أنّ عبد الرحمن بن عوف، لمّا سأل سعد بن الربيع أن يَدُلَّه على سوق المدينة، دلَّه على سوق بني قينقاع، يُفهم من هذا، أنَّ الأوس والخزرج، أكبر قبيلتين في المدينة قبل الإسلام لم يكن لهم سوق يتجرون به، لهذا لم يكن للمسلمين سوق خاصٌّ بهم في ذلك الوقت، لأنَّهم لم يكونوا قد تمكَّنوا بعد في المدينة، ولم يَصْلُبْ ويشتدَّ عُودهم، ولكي يحرِّرهم الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم من التسلُّط الاقتصادي لليهود، والكفّار، والمنافقين، من أهل المدينة، بنى لهم سوقاً، كما أورد السمهودي في كتابه، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: روى عمر بن شَبّة عن عطاء بن يسار، قال: "لمّا أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يجعل للمدينة سوقاً، أتى سوق بني قَيْنُقاع، ثمّ جاء سوق المدينة، فضربه برجله، وقال: (هذا سُوقُكُمْ، فلا يُضَيَّق، ولا يُؤْخَذُ فيهِ خَرَاجٌ.)"

وروى ابن زَبَالة عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط: أنّ السوق كانت في بني قَيْنُقاع، حتّى حُوِّلَ السّوقُ بعد ذلك.

وروى ابن شَبَّة أيضاً عن صالح بن كَيْسان، قال: ضرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قُبَّة في موضع بَقيع الزُّبَيْر، فقال: هذا سوقكم.

فأقبل كعب بن الأشرف [اليهودي]، فدَخَلها، وقطَعَ أطْنابها.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (لا جَرَمَ! لأنقلنَّها إلى موضع هو أغيَظُ له من هذا. فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثمّ قال: هذا سوقكم، لا تتحَجَّروا، ولا يُضْرَب عليه الخَراج.)

وعن أبي أسَيْد، أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله! إنّي قد رأيت موضعاً للسّوق، أفلا تنظر إليه؟ قال: فجاء به إلى موضع سُوق

المدينة اليوم ـ أي في زمنهم ـ قال: فضرب النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم برجْله، وقال: (هذا سوقُكُمْ، فلا يُنْقصُ مِنْهُ، ولا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ.)

وروى ابن زَبَالَة، عن عباس بن سهل، عن أبيه: "أنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم أتى بني ساعدة، فقال: إنّي قد جئتكم في حاجة، تُعْطوني مكانَ مقابركم، فأجعلها سوقاً... فأعطاه بعضُ القوْم، ومنعه بعضُهُم، وقالوا: مقابرنا، ومخرج نسائنا، ثمّ تَلاوَموا، فلحقوه، وأعْطوْه إيّاه، فجعله سوقاً."

وروى ابن شَبَّة أيضاً، عن محمد بن عبد الله بن حسن:"أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تصدَّق على المسلمين بأسواقهم."[٥٥٦]
أي أنّهم لا يدفعون أجر المكان الّذي يستعملونه من السوق، كما يستدلّ من رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة.

روى ابن زَبَالة، عن خالد بن إلياس العدوي، قال: "قُريء علينا كتاب عمر بن عبد العزيز بالمدينة: إنّما السوق صَدَقة، فلا يُضْرَبَنَّ على أحد فيه كِراء."[٥٥٧]

كذلك مَنَعَ الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم الناس من إقامة أيّ بناء في السوق مهما كان صغيراً، كما روى ابن زَبَالة، عن ابن أبي ذئب: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرَّ على خيمة عند موضع دار المنبعث، فقال: ما هذه الخيمة؟ فقالوا: خيمة لرجل من بني حارثة كان يبيع فيها التمر. فقال: حَرِّقوها! فحُرقت.

وروى ابن شَبَّة، عن أبي مردود، عبد العزيز بن سليمان: أنّ عمر بن الخطاب رأى كِيرَ حدّاد في السوق، فضربه برجله حتى هدمه، وقال: أتنتقص سوقَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

٥٥٦ــ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ص ٧٤٧-٧٤٨.

٥٥٧ــ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٤٩.

ومرَّ عمر بن الخطاب على باب معمر بالسوق، وقد وضع على بابه جَرَّةً، فأمر بها أن تُقْلَع، فخرج إليه معمر، فقال: إنّما هذه جَرَّة يسقي فيها الغلامُ الناسَ، قال: فنهاه عمر أن يَحْجُرَ عليها أو يحوزها. قال: فلم يلبث أن مرَّ عليها، وقد ظَلَّلَ عليها، فأمر عمر بالجَرَّة والظلّ، فنزعهما.

وكان الراكب ينزل بسوق المدينة، فيضع رحله، ثم يطوف بالسوق، ورحله بعينه يبصره، لا يغيِّبه شيء."[٥٥٨]

وكان في المدينة سوق خاصّ بالخيل، كما روي عن سعد بن أبي وقاص، قال: "بينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يجهّز بعثاً في سوق الخيل بالمدينة..."[٥٥٩]

٥٥٨ــ السمهودي، وفاء الوفا، ج ٢، ص ٧٤٩.

٥٥٩ــ الفسوي، المعرفة والتاريخ، م ١، ص ٥٠٣.

obeikandl.com